جيـــل وجيل

حيوية الفـكر

للأســتاذ محمود البشبيشي

حيوية الفكر وليدة الفطرة — تكوين الشخصية والحيوية — الاتزان مع البيئة — الحيوية في الأدب — عبقرية محمد — الأستاذ الزيات — آدم وحواء والدكتور مبارك — الحيوية في الشعر — وأرواح وأشباح —

نصل حوارنا اليوم بفيض من الفكر ، ينساب انسياب الطبيعة الحية في كل شئ ، ويتألق تألق الشعاع اللماح يبيد غياهب الظلمات وتفتر مباسمه عن أنوار من الطفرات العقلية الطيبة الغاية ، المأمونة العثار ؛ فليس أحب إلى الكاتب المفكر من أن ينشر ما اضطرب في صدره من الخواطر ، وجال في خاطره من المعاني . وحديث اليوم حديث الحيوية في الفكر

قلت لولدنا حسين : لنصل اليوم ما انقطع من حوارنا ففيه مسرح يروق عيني ، ومستروح يبهج نفسي ، مع ما في ذلك من مصابرة لمكاره الفكر المستغلقة ، ومعالجة لأسرار الأمور . ولنرجع إلى حديث الحيوية الذي حدثتني عنه في أول الأمر ، فقد جدت أمور حركت ما كمن ، وبعثت ما خمد

قال : أما العودة إلى الحوار فإني لأجد فيها من مباهج الفكر ، ومراقي الإدراك ، وفوائد المعاني . . . ما يسكن نفسي النفور ، ويطرب قلبي المتطلع إلى مطالع المعرفة . وأما حديث الحيوية فأنا مشتاق إليه بما طبعت عليه نفسي ، وانطوى عليه حسي ، واضطرب به فكري . . ولعلني اليوم أجد ما يثبت ما قلت بالأمس من أن الحيوية في كل شئ هي سر البقاء ، وأن الرجل الحق من خلع على الحياة صور نفسه ، وأخذ من صور الحياة ما يتجانس معه ، ويساير حقيقته ، ويلابس حدود حاجته

ولكن الحيوية يا سيدي الوالد وليدة الفطرة ، مهما اختلفت صورها ، وتباينت مناهجها ، وتنافرت مقاصدها . وإن الحيوية الفكرية خاصة لأبعد من أن تنال بالاعتياد والدربة وأن من ظن ذلك فقد قرنها بالصنعة ، وفرق بين الطبيعة والصنعة . أما الطبيعة ففيض من الروح ونور من الإلهام ، وأما الصنعة فألفاظ مرصوصة وصور منحوتة . وهيهات أن يصل كاتب بحرم حيوية الفكرة إلى مراتب الكمال ، فإن ذلك أبعد من تحقيق حلم الخيال . وفي مصر كثير من صناع الألفاظ ، ونقلة الأفكار . وإنك لترى العجب كلما قلبت مجلة من المجلات ؛ فهنا كاتب بلغ الغاية فاطمأن وظن أن على القارىء أن يقرأ كل ما يكتب ولو كان من عبث العابثين . وهناك كاتب انسلخ من ماضيه وساير ركب الحياة الضارب في كل متاهة ومضلة

قلت : حق هذا يا بني ؛ بل إن الحيوية الفكرية لتكسب الكاتب شخصيته ، وشخصية الكاتب في أسلوبه ، وطريقة عرضه لأفكاره ، ونقده لأفكار غيره ، ونظرته وتأمله إلى كل ما يضطرب حوله من صور الحياة . فهذا كاتب اختصت حيويته بالنظرة النافذة ، والرأي العميق ، والفكرة الفلسفية ... فتراه في كل مظهر من مظاهر إنتاجه قد ساير طبعه ، وجانس حيويته . إن من الأفكار ما يكون باقياً على الدهر ، يتنافس الرواة في حفظه ونقله ، وتلهج الألسنة بترديده والتمثل به ، ولا يزيد على الأيام إلا جدة وقوة ؛ لأنه وليد مشاعر حية إنسانية ، وعصير قلوب ذابت فجرت نغما . ذلك النوع من الفكر هو ما قام على قواعد من الحيوية ، تحس في كل لفظ من ألفاظه حياة لا تقيدها الكلمات ، ولا تتحكم فيها العبارة ؛ هذا النوع من الفكر يساير الحياة لأنه وليد الحياة ، ويضرب في نواحيها المتباينة فيكون منطقه فصلاً ، وحكمه نافذاً . . . لا يسأم الإنسان من تكراره ، ولا تنفر الآذان من سماعه ، لأنه نغم القلب وصدى الروح

قال : إذا صح أن الحيوية تكوّن الشخصية . . . فإنه يصح أيضاً أن تكون الحيوية الأساس الأول للاتزان مع البيئة . وأقصد بالاتزان مع البيئة مسايرتها وملابستها أصدق المسايرة والملابسة . . . فترى الكاتب المفكر الذي يخضع لحيوية قوية يحس مواضع القول ، ويجيد اختيار المناسبة ؛ ولاختيار المناسبة موضع وحدود ، وليس من الحيوية أن يتخطاها الكاتب أو يعجز عن إدراكها ... فقد تتوارى السحب وراء الأفق البعيد فيظن الكاتب الذي تعود أن يرسل نفسه على سجيتها أن السماء صادقة في صفوها فيندفع وراء ما يحس هو لا ما يحس غيره ، ويجري وراء ما يراه هو لا ما يراه المجتمع . . . فإذا به يقف أمام الحقيقة المرة ، وإذا به يرى أن الأفق لم يك في صفائه صادقاً ، وإذا به يطوي صفحة أفكاره وفي النفس حسرة وفي القلب ألم ... ما الذنب الذي جنى ؟ وما الشر الذي اقترف ؟ الذنب الذي ارتكبه أنه لم يدرك معنى الاتزان مع البيئة فترك الأرض ليبحث

فى السماء . وما علم أن على الأرض من يجزع ويحقد على كل من يحاول الخلاص من قيود التراب الأرضى ! !

قلت : هذا كلام يشعرنى بأنك تريد أن تقول شيئاً وراء اللفظ ، أو أنك تميل يا بنى إلى توجيه القول لكاتب كبير فاضت حيويته وضاقت بقيود الأرض وكل ما يتصل بمعانيها . أكاد أشعر بهذا ولى الحق فى أن أشعر به ، بل أكاد ألمس غضبك كلما تذكرت اختناق تلك المعانى الرائعة التى انطلقت فى غفوة من الزمن من روح هذا الكاتب الكبير . ولكن هذا الكاتب الكبير يعلم حق العلم أن الحيوية تفرض عليه الاتزان مع البيئة فلا محل للومه هو . . . بل اللوم كل اللوم لحيويته الدافقة التى ضاقت بالأرض فانطلقت إلى السماء ...

الحيوية يا بنى لها أكبر الخطر فى الأدب . فالحيوية الفكرية ليست حبساً على غزارة مادة الكاتب أو الشاعر ، ولا هى رهن بمقدار ما يروى عنه ، وإنما هى سر من أسرار النفس والفطرة . يودعه الكاتب أو الشاعر قوله فيضمن له على الدهر الخلود . فإن من الشعر ما تزداد فيه الحيوية حتى لا تقف به عند حد الخلود ، بل إنه ليضفى الحياة على ما يمسه من الموضوعات ، ويكاد يبعث من طواهم الثرى من الناس بعثاً يختلف قوة وضعفاً ، ويتباين سعادة وشقاء . فمن لا يذكر سيف الدولة كلما ذكر المتنبى؟ ومن لا يذكر كافوراً كلما تناول شعر أبى الطيب ؟ ومن لا يذكر حرب البسوس كلما جال بخاطره رثاء مهلهل لأخيه كليب ؟ ومن لا يذكر مالك بن نويرة كلما قرأ شعر أخيه متمم؟ ومن لا يرثى لمقتل (صخر) كلما سمع نواح الخنساء عليه ؟ ومن لا يذوب أسى كلما ذكر قصيدة شوقى طيب الله ثراه فى رثاء « مقدونية » ؟ ولقد يكون من الشعر ما يُقوِّى عناصر الحياة حتى فى الحقائق العلمية والاجتماعية ، ومن حكم المتنبى ما هو أصدق شاهد على ما نقول ، وليس بأقل منه قول شوقى فى قصيدته «نهج البردة» يدفع عن الإسلام دعوى أنه قام على أعضاد السيوف :

قالوا : غزوت ورسل الله ما بعثوا ... بقتل نفس ولا جاءوا لسفك دم
جهل وتضليل أحلام وسفسطة ... فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم !

قال : ومن حيوية الكاتب العبقرى أن يخلص من قيود الحياة المضطربة الثائرة فينطوى على نفسه يراقبها ويحقق أغراضها ، ويساير ميولها مهما كانت الظروف التى تحيط به . وخير دليل على هذا ما فعله الكاتب العبقرى الأستاذ العقاد ... إذا استطاع فى مثل هذا الجو المضطرب بأحاديث الحرب ، المرتمش فى مهب القادير ... أن يبعث من نفسه صوراً حية تتناول أكبر شخصية حية تفخر بها الإنسانية وتعتز بها البشرية ... أجل إن كتاباً روحياً صادقاً يخرج إلى الحياة فى مثل هذه الأيام العجاف لهو كتاب جدير بالتأمل والإعجاب . بل إنى لأرى فى خروجه فى مثل هذه الأيام لحكمة تصور صدق حيوية الأستاذ العقاد . فليس من شك فى أنه أراد أن يقدم للانسانية أروع المعانى الروحية تتألق حيوية فى شخص الرسول ... فى زمن جنت فيه العقول ، وتكلم لسان الدمار :

جنوا وعىّ لسانهم فتفجرت ... لسن الدمار قنابلاً . وبرودا

قلت : هذا حق يا بنى ، فكتاب عبقرية محمد كتاب تعتز به العربية فى دقة الفهم ، وروعة العرض ، وسلامة النسج ، وإنى لأطرب يا بنى كلما ذكرت أن فى مصر كتاباً يكتبون فى سيرة أشرف الخلق . فكم هزنى إعجاباً كتاب « محمد المثل الكامل » للأستاذ محمد جاد المولى بك ، ففيه تحقيق العالم الخبير، كما غمرنى طرباً كتاب «على هامش السيرة» للدكتور طه ففيه سهولة وطلاوة . . . وإنى لأنتظر من صديقنا الدكتور مبارك أن يكتب فى هذه الناحية الشريفة النبيلة ، كما آمل أن يعرج عليها صاحب الرسالة بما عهد فيه من دقة وروعة . ولو سمحت لنا الظروف ولم تقطعنا الشواغل لقمنا بهذا الواجب الروحى الجليل فى أقرب فرصة يسمح بها الزمان يا بنى ...

ومن حيوية الفكر يا بنى أن يساير الكاتب المجتمع ويلابسه أصدق الملابسة حتى يصيب الهدف ويبلغ الغاية ، ويكون مثابة حق ومنار هداية . وما كان قصور بعض المصلحين إلا من شأن عجزهم عن إدراك معانى الاتزان مع البيئة . فحقيق بالمصلح المتأمل والكاتب الاجتماعى أن يعقد القلب على إدراك أسرار هذا القانون الطبى ، فتتيسر له أسباب الأمور ، وتسهل أمامه الصعاب . وإن الأستاذ الجليل الزيات لصورة صادقة لمسايرة الكاتب للمجتمع وأحواله ، وما يضطرب فيه من ألم وفرح . فما من مقال له إلا وهو يرمى إلى هدف مقصود ، وغاية معلومة ؛ وما من رأى له إلا وهو يعالج حالة خاصة ، ويدل على مذهب خاص . ولعلك

أعداد الرسالة الخاصة

فى سبيل الوحدة العربية والثقافة العربية ، ستصدر الرسالة عدداً خاصاً بكل قطر من أقطار العروبة ، ينوه بفضله ويعرف بأهله . وستبدأ بعدد العراق . والمرجو من أدباء كل قطر أن يعاونوا الرسالة على أداء هذا الواجب بارسال ما يستطيعون من الوثائق والمقالات والصور

يا بني تذكر كيف غلبته حيويته الاجتماعية فتفرد بالكتابة « في عدد الهجرة الخاص » في « مشكلة الفقر وعلاجه » ، وكيف أسرع وكتب في « مشكلة الرغيف » ، وكيف كان أول من كتب في الانتخابات وصورها تصويراً رائعاً ... ؟ !

قال : و « آدم » و « حواء » يا والدي ... إنها لأروع صورة لحيوية الفكرة المنطلقة التي لا تتقيد بشيء إلا بالحقيقة والضمير الحي ... « آدم » و « حواء » : بحث نابض بالحيوية ، بل هو أعظم ما كتب الدكتور مبارك ، فقد كانت الفكرة فيه تخرج في ثوب من الإيمان بالرأي والعقيدة ، وفي لون من الفن الرائع لست أغالي إذا قلت إنه منقطع النظير في آداب العربية ... وقرأتها لأول مرة ، فابتسمت وقلت : إن الدكتور سيفترع فنّا جديداً يسد نقصاً كبيراً في أدبنا ... وإني لأقول في صراحة إنني كنت أعتقد أن صاحب هذه الأفكار لا بد أن يكون من أبناء هذا الزمان ، ولا بد أن يكون قرأ — على الأقل — فلسفة القرن التاسع عشر ، ولا بد أن يكون في مثل حيوية دكتورنا المبارك ، وليس في مثل حيوية « شيث » !

وإني لأذكر للدكتور المبارك أني جزعت كل الجزع عند ما قرأت « ينبوع حلوان » ! فقد أدركت منه ما لم يدركه غيري ، وأحسست أن الفكرة التي انطلقت من الأرض قد قيّدت ! !

قلت : والحيوية في الشعر يا بني أن يكون في الشعر تجويد في اللفظ والمعنى . فإن ما يصدر عن الشاعر الموهوب العظيم لا بد أن يترك في النفوس آثاراً عظيمة ، وما يصدر عن الشاعر الماجن الواهن الضعيف النفس ، المسخر بالملاهي ، لابد أن يحمل في طياته عناصر فنائه ، وإن أغتر به صاحبه ، وتناقلته أفواه الرواة الماجنين . إن النفس لتطرب بالنثر البليغ فهي بالشعر الجيد أشد طرباً . ولقوة الشاعرية ، وغزارة المادة ، وسعة الثقافة ، وسلامة المنطق ، أثر بعيد الغور في سلامة تفكير الشاعر ، وجنوحه إلى الأسلوب المنطقي ، وسوق القضايا في مساق الاستدلال كلما زاول معنى من المعاني ، فهو لا يكتفي باللمحة العجلى يرسلها على المعنى فيجيء غامضاً فاتراً ، أو يصل إلى النفوس قلقاً مضطرباً . فإذا قرأت للشاعر المجلي شعراً وأيت لوناً واضحاً من الفكرة يتعود القصيدة كلها ، أو ينصبّ على كل معنى من معانيها

قال : ما ظنك « بأرواح وأشباح » للأستاذ علي محمود طه ... إنها لصورة لسعة الثقافة ، وغزارة المادة ، وسلامة المنطق والتغلغل في أسرار المعاني ، افتن فيها الشاعر فجاءت فتنة ، تصور الوجد اللاعج ، والجوى المستعر ، وانطلاق الشهوات من قيودها ، وعبثها بروعة الفن وقداسته . ذهب فيها الشاعر مذهباً جديداً من الفن الشعري ، عرض فيه لسلطان الشهوات الكامنة ، والنزعات الدفينة ، والأحاسيس الملتهبة . وهو في عرضه لها صاحب نظرة صادقة لا يأخذ الحياة كما هي ، بل يخلع عليها من إشعاع روحه ما يكيفها التكييف الذي يريد ...

قلت : ومتى وصلت الحقائق والأخيلة إلى النفس على تلك الصورة المحكمة ، وراضها بيان طيع ، وصاغها شاعر ملهم ، كان لها في النفس مستقر ومقام . وإنك لتدرك ذلك من نفسك فيما يقع لك من شعر بعض المعاصرين ، فقد تقرع أذنك قصيدة أخاذة المظهر ، رائعة العنوان ، فلا تجد لها عاضداً من فكرة متحدة ، ولا ضابطاً من منطق متماسك ، فلا تنتهي منها حتى تصير عرضاً لفظياً يذهب مع الهواء ، ولا يجد لنفسك مدخلاً . وقد تقع لك أبيات قليلة أو قصيرة فيها فكرة وفيها تماسك ، فتحل من نفسك في الضمير ، ولا يعييك أن تحتفظ بمعناها ، بل لا يستعصي عليك متى (شئت) استظهارها

محمود البشبيشي

حكم في القضية ١٣٦٣ أسيوط عسكرية سنة ١٩٤٢ ضد سيد وراد حسين وآخر من أم القصور حبس كل منهما شهر شغل والنفاذ ليهما ذرة بأزيد من التسعيرة بجلسة ١٨ / ٥ / ٩٤٢

حكم في القضية ن ١٠٩٠ جنح عسكرية طنطا سنة ١٩٤١ ضد زكيه عبد الفتاح الماحي بتغريمها جنيهين والنشر بتاريخ ٢٦ نوفمبر سنة ٩٤١ وذلك ليمها ذرة بسعر أزيد من المحدد

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٣ يونية ١٩٤٢ في القضية رقم ٨٧٢ ضد بهية محمد محمود غزلان من قلاة مركز شبراخيت بتغريمها ١٠ مائة قرش والنشر على مصاريفها لبيعها ذرة بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة